الغزل في شعر الشاعرة العراقية في القرن العشرين

مدرس مساعد

فرح غانم صالح حميد البيرماني

جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

الملخص

تناولت في بحثي دراسة وعرض لبعض شاعراتنا العراقيات، المحافظات منهن والمتحررات اللواتي سجّلنَ أفكارَهُنَّ في شعرِهِنَّ تجاه الرجل والقيود والعادات والتقاليد، وقد تطرّقتُ إلى معرفة مَن منهنّ المحافظة والمتحررة.

Gallant in the poetry of Iraqi poetesses of the twentieth century

Farah Ghanim Salih Hameed Al-Bayrmani

University of Baghdad-College of Education for Women

Assistant teacher

Abstract

In this research I studied and showed some of our Iraqi poetesses, those who are preserved or liberated whom record their ideas in their poetry for man, restrictions, mores and traditions, I also came to know who were disadvantaged, preserved or bilious.

تملكني إحساس غريب عندما كنت أقرأ في دواوين بعض الشاعرات العراقيات، فوجدت منهن المحافظة وأخرى المتحررة، فقررت أن أكتب كل ما أشعر وأفكر به عند تأملي لتلك الابيات الشعرية. وشدني الفضول لأتعرف على فكر الشواعر ورأيهنَ وفلسفتهنَ في التحرر من القيود والتقاليد والعادات التي تخنق أمنيات أية امرأة تفكر في أن تُصرح بحبها وتتكلم عن فارس احلامها خوفاً من مهاجمتها واحتجاجاً بالدين فتعمد الى كبت مشاعرها وما أن تأتي فرصة لها للحديث بصمت بعيداً عن سماع الآخرين او بسفرها بعيداً عن حدود بلدها، لتُصرح بحرمانها وتتصرف كعاشقة مراهقة. وتسعى لتحقيق رغباتها كأنها "عصفورة مسجونة فُتِحَ باب قفصِها" تتناسى كل السلاسل التي حدَّت من طموحها. وسنلمس براعة الشاعرات في جعل تلك المرأة تكشف عن مكنوناتها العاطفية، وتطلق براعة افكارها الى ذلك الرجل الشرقي الذي جعل نظرته للمرأة في قعوقعة المبادئ والتقاليد.

وبما أنَّ المجتمع العراقي أقرب الى البداوة والتقاليد القاسية[1]. وهناك الأوامر الدينية فإنَّ هذه الامور وغيرها، دفعت الشاعرات الى إخفاء عواطفهنَ وبذلك يمكن أن نقول أنَّ هناك مدرسة نشأت عام ١٩٥٨. وقد انقسمت على قسمين:

المدرسة الصريحة في الاعتراف بالحُب وقد مثلتها كثيرٌ من الشاعرات العراقيات، وهناك منهن اليساريات اللواتي يملكن الحرية المطلقة في التعبير عن تجاربهِنَ العاطفية، وهناك المحافظات اللواتي يسعينَ الى الرمز فيما يخص عواطفهنَ مع أنهن يُعتبرن من الشاعرات المتحررات، وهناك المدرسة التي كانت تشكو من انعدام هذا الحب واللجوء إلى الغموض. وهناك من لجأنَ إلى التصوف والتظاهر به ولا يعني هذا أنهن صادقات في هذا الاتجاه.

وأرى المرأة (الشاعرة) تحت هذه الضغوط قد اضطرت الى النِفاق واخفاء "الواقع" ونظم "المُثل العليا" في قيم المرأة الاخلاقية في المجتمع العراقي.

الشاعرات المحافظات:

---

(١) ينظر: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص١١، ص١٤، ص٣٣٣.

من شاعرات الحرمان المتشائمات... الشاعرة (نازك الملائكة) التي ولدت في بغداد سنة ١٩٢٣، إذ نشأت في بيت كريم من أبٍ شاعر وأمٍ شاعرة. وقد اعتزلت ضوضاء المجتمع. فهي تواقة إلى العزلة حيث لا أنيس يؤنسها ولا سمير يجالسُها أعز من كتبها والسِّر في ذلك هو انعدام التوازن بين رغباتها والواقع المرير وبين المدينة الفاضلة التي تتخيلها وبين مدن الشرق التي تراها أمامها.[١] الشاعرة كانت معجبة بالفيلسوف الالماني (شوبنهاور) لانه يعبر عن فلسفتها فهي تتفق معه في أنّ الحياة زوبعةٌ حول لا شيء، وهي معجبة بالفلسفة المثالية لأنها حاولت تنظيم المجتمع على أساس فكري روحي، وتمجد (نيتشه) الفيلسوف الالماني المتشائم لأنه مجّد الموسيقى والعاطفة الحرة.[٢] إذ يقول عنها الاستاذ أدهم آل جندي (انعكس في شعرها الوحدة والأسى والظلال والدموع والحزن الصامت، والحس المرهف ودقة الشعور بسبب ما اكتنفها من مآسي في حياتها الخاصة).[٣]

ولعل من الاسباب التي جعلت شعر (نازك الملائكة) يغلب عليه طابع الحزن واليأس هو شعورها بأنها إمرأة غير جذابة وعلى قدر بسيط من الجمال ولا تملك من الأنوثة شيئاً حتى تبهر الرجال ليتقربوا إليها ولتشعر معهم بنشوى الحب وحتى عندما سافرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٠ ظلت تشكو من الوحدة والغربة والحرمان لكونها تعرف أنَّ الرجل لابد أن يجد ما يغريه ليقترب إليها، فغلبت شهرتها كشاعرة على شكلها فكبتت مشاعرها ومسكت القلم لتكتب على الرغم من حريتها المطلقة. فهي تتخيل عاشقاً يعاشرها فتخاطبه بشعر ذي الايقاع الحزين.

ولنتأمل معاناتِها من خلال قصائدها، إذ تقول في (مأساة الحياة):

آهِ يا من ضاعتْ حياتُك في الأحـ

ـلام ماذا جنيتِ غير الملالِ؟

لم يَزَلْ سرُّها دفينا فيَا ضيـ

---

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٩١.

(٢) ينظر: نسمات وأعاصير في الشعر العربي المعاصر، ص٣١٥.

(٣) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٩٢. نقلاً عن مجلة الأديب اللبنانية، ص٣٤، الجزء ٩، السنة ٢١، ١٩٦٢.

عة عُمْرِ قضّيتِهِ في السؤال.[١]

هنا الشاعرة في حالة من اليأس من الحياة وحالة من الملل التي أصابتها وضياع عمرها ونراها تستمر في يأسها عندما تستمر في قولها:

كلُّ يومٍ أبني حياتي أحلا
ماً وأنسى اذا أتاني المساءُ.[٢]

وتخاطب نازك السعادة وتبحث عنها فنسمعها في قصيدتها (البحث عن السعادة) تقول:

أين ألقاكِ؟ أين مسكنُك المر
موق؟ في الافق أم وراء الوجودِ؟
سرتُ وحدي تحت النجوم طويلاً
أسأل الليلَ والدياجير عنكِ.[٣]

وفي قصيدتها (عند الرهبان) تشكو من حزنها وضياع عمرها.

آهٍ ضاعتْ أيّامُ عُمري ومازال
شِراعي يطوي فراغاً حزيناً.[٤]

ونرى نازك تتخيل وجود عاشقاً يسعى وراءها وتُعلن رغبتها في أن تخرج من أسرها وتصرخ بحبها لذلك العاشقِ الموهوم، فتقول في (مأساة الشاعر):

ومضى القلبُ صارخاً أين حبّي؟

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الاول ص٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٩.

أين لـهوي؟ وفيم أبقى أسيرا
أبداً لا إنـي أضـحي بأفرا
حي، وأحيا ذاكَ الحزينَ الكسيرا.[١]

ونراها تُخاطب المحب الموهوم....
انطلق بيَ دعني أذقْ فرحة الحبِّ
لعلـي من الشقاءِ أفرُّ.[٢]

وفي قصيدتها (احزان الشباب) نلمس شعورها بالفشل في الحُب. فتقول...
ها أنا في الشباب تقتلني الوحـ
ـدة والصمتُ والأسى يا هموم.[٣]

وتُبين تأثير الوحدة عليها بضياع شبابها فتستمر بقولها...

كلَّ يومٍ أرى شباب حياتي
في حمى الوحدةِ المريرةِ تذوي.[٤]

وتتواصل بقولها:
ولأعيشَ في ظلال وحدَتي الخر
ساءِ أبكي ولا مُصيخٌ إليَـا.
لا فؤاد أبثّهُ ألمـي المرَّ
ولا خافق يحنّ عليّا.[٥]

---

(١) ديوان نازك الملائكة، المجلد الاول، ص١٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٢١٠.
(٤)المصدر نفسه، ص٢١٣.
(٥) ديوان نازك الملائكة، المجلد الاول ، ص٢١٤.

وفي قصيدتها (أغنية للإنسان) ترسم الشاعرة صورة العاشق الذي يحاول أن ينجو من أحاسيس العشق الملتهبة. فتقول:

كيف أنجو من الاحاسيس من حـ

بيّ وكرهي؟ من هدأتي ولهيبي؟.[١]

وقد ذبلت حتى شفتاها في ريعان شبابها.. فتستمر بقولها..

والشفاه العذراء اطبقها المو

ت على لحن حبِّها المبتور.[٢]

ولنشعر كيف أصبحت حالتها بعد هجران عاشقها لها كما تدعي وتكتب، فتقول:

وتمرّ الحياةُ والعاشق المهـ

جور قلبٌ دامٍ ووجهٌ شاحبْ.[٣]

ومن الشاعرات المحافظات (هيام الوسواسي)... ولا يخفى أن أسرة آل الوسواسي إحدى الأسر العلمية والأدبية في بغداد، ويبدو أنّ الشاعرة مغرمَة بالرومانسية وتُطالعنا بقولها في (عودة السنونو)...

لا ... لن يعود به الحنين

فعلام ابقى من انتظار

في مهجتي لهب ونار

وعلى العيون رجاؤها

والقلب يرغب والها

ويعود يسأل من جديد

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٨.

(٣)المصدر نفسه، ص١٣٤.

هـــــــــــــــل يعـــــــــــــــود؟ ... [1]

نلحظ الشاعرة تختفي وراء السنونو خشية التصريح أو تشبه انتظار حبيبها بانتظار طائر السنونو.

أما الشاعرة (مقبولة الحلّي) التي ولدت في بغداد من عائلة حِلّية وجيهة سنة ١٩٢٩، وقد فُسح لها المجال للدخول في كلية الملكة عالية ببغداد وتخرجت في فرع الآداب سنة ١٩٥٣، وعُينت مدرسة للغة العربية، وفي خلال دراستها أُولعت بالشعر، وكانت تُذيل قصائدها التي نشرتها بإسم (عفراء)، ثم طلب أبوها أن تُصرح باسمِها وتواجه النقاد، ورحلت الشاعرة الى دار الخلود سنة ١٩٧٩.[2] وقد قال عنها الأستاذ (حسن الأمين) "إنها شاعرة ذات ديباجة مشرقة وأسلوب ناصع جميل... بدأت حياتها الأدبية بما أخذت تنشره لها الصحف والمجلات من شعر يدلّك في مبتغاه ومعناه بأنَّ من حق الأدب العراقي أن يضع هذه الشاعرة الناشئة لؤلؤة في النتاج النسوي في العراق".[3]

نلحظ من خلال قصائد الشاعرة أنها كانت تشكو من الوحدة وهجران الحبيب وتشكو من الزمن الذي خيّب رجاءها فلم يحقق أمانيها. فتقول في (دمعة شاعرة):

أاشكو الليالي مات فيهن مأملي
أم أشكو زماناً خاب فيه رجائي
أم أندب حظاً عاثراً حل أضلعي
وأبكي دهراً ضاع فيه وفائي
حنانيك يا دنياي فاليأس شفني
وبتّ أعيش اليوم فيك بكائي.[4]

وهناك أبيات تتصاعد منها حرارة العاطفة فتقول في (غداً أرحل)...

---

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٩٧-١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٣) أدباء العراق المعاصرون، ج١، ص١١٨.

(٤) شاعرات عراقيات معاصرات، ص٧٢. نقلاً عن جريدة الهاتف البغدادية عام ١٩٥٨.

ويبعـــث فـــي مقلتـــي الحنـــين
دمـــوع النـــوى والغنـــاء الحـــزين
علـــى شـــفتي والأســـى والأنـــين

وتظمـــــأ روحـــــي ولا نلتقـــــي
وأهتـــــف بالشـــــمس أن أشـــــرقي
عليـــه بهـــذا الهـــوى الريـــق. (١)

ولنتواصل مع الشاعرة (حياة جاسم) التي ولدت في بغداد، إذ تخرجت في كلية الآداب بجامعة بغداد ثم واصلت الماجستير، ونالت شهادتها سنة ١٩٧٩، وهي من الطاقات الشعرية التي تصرفت بالشعر الجزل، وبرعت في الفن الشعري، وأبدعت في صياغته، نشرت قصائد موفقة باسم مستعار اتخذته رمزاً لها وهو (الزهرة البيضاء) على صفحات مجلة (الأديب) اللبنانية.(٢)

ولنسمعها تقول في قصيدتها (وحدَي) وهي تشكو من وحدتها وحالة اليأس والصمت التي ترافقها. وكأنها فقدت الأمل لدرجة تتمنى ظل صديق، فقد وصلت إلى حالة متعبة من الحرمان.

وحـــدي ... أنـــا والليـــل والصـــمت العميـــق
وحـــدي ... وفـــي عينـــي يحتضـــر البريـــق
وحـــدي ... أنـــا يـــا قلـــب أصـــرخ فـــي الظـــلام..
"لا شيء يمنحني السلام"
وحـــــدي ... ولا أمـــــل يغنـــــي، ولا رفيـــــق
وحدي ... لا نجمٌ يضيء الليل للساري، ولا ظل صديق

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٨٢. نقلاً عن مجلة (العرفان) اللبنانية عام ١٩٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٧١.

وحدي ... خطاي المتعبات تذوب في سمع الطريق.(١)

ومن الاشارات المهمة التي توضح ذلك الحرمان الذي تعيشه شاعرتنا، تكرار لفظة (وحدي) ست مرات مع وضعها عنواناً لقصيدتها ايضاً مما يؤكد حالة العزلة النفسية ودرجة الاحباط التي تعاني منها الشاعرة.

وتُطالعنا الشاعرة (فطينة النائب) وكانت ترمز لأسمها في الصحف بكلمة (صدوف) أو (صدوف العبيدية) نظراً للتقاليد الاجتماعية التي تتمسك بها، فتجعل بينها وبين المجتمع سداً منيعاً، ولدت في محلة الفضل ببغداد سنة ١٩١٧، وترعرعت في عائلة محافظة تغنيها شهرتها عن الإطراء والتعريف، فجدها عبد الوهاب النائب أشهر رجالات الدين والعلم والأدب في بغداد، ووالدتها تركية الأصل، وفي خضم تلك التقاليد الموروثة كانت تعيش هذه الشاعرة وقلبها الطموح يصطدم بعواطفها وانفعالاتها، فهي تنفعل وتكتب الشعر في أغراضه العديدة معبرة عن عواطفها المشبوبة، وحين تكتب في الغزل لا تخاطب الفكر صراحة، بل ترمز اليه بكلمة غزال أو قمر، وكانت تكتم مشاعرها تجاه الرجل بسبب الظروف الاجتماعية التي فرضها المجتمع آنذاك.(٢)

وللشاعرة ولع خاص بموضوع (الفراشة واللهيب) وقد صاغت منه قصائد عدة منها قصيدة (فراشة تحترق) التي تقول فيها:

أنا: أفراشتي الولهى رأيتك ترتمين على اللهيب
أفلم تُرُعْك النار أم قد غبت في دنيا القلوب
لهفي عليك فإن جسمك باللظى الواري يذوب
فإذا استطعت تباعدي فلسوف يفتنك الوجيب

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص٧١، ٧٢. نقلاً عن مجلة (الأديب) اللبنانية، ص٣٧، الجزء ٨، السنة ١٦، ١٩٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٩، ١٧٠.

الفراشـــة: إنـــي أحـــب مـــن الهـــوى لوعاتـــه ولهيـــب جمـــره
وأحـــب لهفـــة ظـــامئ وأعـــيش فـــي شـــغل بهجـــره
مـــا لـــذة الـــدنيا إذا لـــم يتصـــل حلـــوي بمـــرّه
إنـــي لأقصـــد نـــاره الحمـــراء كـــي أفنـــى بحـــرّه. (١)

أرى الشاعرة تعشق لحظات العذاب والحرمان واللوعة وترى أن الحب تكمن قيمته بالعذاب وبالنيران الملتهبة في قلوب العشاق. وقد قدمت القصيدة بطريقة مسرحية (حوارية) وديالوج خارجي فيه محاورة بينها وبين الفراشة، لكونها ترمز الى الرقة وتعبر عن إحساس المرأة الداخلي وحاجتها للحب ومخاطرتها بنفسها في سبيل الوصول إليه، وكأن الشاعرة تشبه مصير تلك الفراشة التي تختار الموت وترتمي وسط لهيب النار بمصيرها لكونها أختارت نار الهوى في مجتمع تخنقه الاسوار والتقاليد.

الشاعرات المتحررات:

ولنبدأ بالشاعرة (لميعة عباس عمارة) التي ولدت في بغداد سنة ١٩٢٩، ونشأت في بيئة خيّم عليها العطف والحنان من أبٍ ترك عائلته منذ أن رأت طفلته نور الحياة راحلاً إلى أوربا وأمريكا لطلب الشفاء... وتوالت الأيام ولميعة تهفو إلى رؤية والدها الحنون وبعد حين عاد والدها، فأخذت تبثه شجونها. ولم يمض وقت طويل حتى وافاه الأجل، وانتقلت الأسرة إلى العمارة، واستمرت بدراستها الثانوية ثم التحقت بدار المعلمات العالية (كلية التربية حالياً) وتخرجت فيها سنة ١٩٥٠.(٢) كتب عنها كثير من الأدباء والنقاد، تقول روز غريب "تلمس في شعرها شخصية واضحة، يستوحي تجارب عاشتها وعانتها. فكل قصيدة تروي مناسبة أو حادثة أو خاطرة، بعبارة حية نابضة، لا أثر فيها للتصنع والتقليد، فتجارب الشاعرة محدودة،

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٧١.
(٢) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٧٥.

أسفارها قليلة، لكنها بالخيال تسافر إلى أقاصي الأرض".[١] ويحدثنا (صاحب كمر) في مقالٍ له عن الشاعرة إذ يقول "الشاعرة جامعة مانعة تتحدث وتسمو في كل الجوانب برؤية جديدة تستعمل أدواتها الفنية مرة تهمس كراهية أو تتناجى شهرزاد أو تتحدث عن بطل ومرة أخرى تذكر الموت ثم تروح تغني للحُب أو تظل حزينة تتساءل".[٢]

وفي كثير من قصائدها تعالج موضوع الحب والغزل. فتقول في إحدى قصائدها التي تعظم الحب:...

أكبـــــرَ منـــــي كـــــان الحـــــب
فكـــانَ الصـــمتَ، وكـــان هروبـــاً للأحـــلام
شَـــــــبّهتُك، أحببـــــــتُ شـــــــبيهَكَ،
أدركـــتُ لمـــاذا أجـــدادي عبـــدوا الأصـــنام.[٣]

وهنا نلمس إشارة إلى الحب الرومانتيكي الذي يغطي سلوكاً متحرراً، ويمكن أن نعزو عرض الشاعرة لصور من سلوكها بـ(الاستعراضية) ويعلق الدكتور (علي كمال) أحد علماء النفس عن هذا الموضوع بقوله "أن ظهور الأنثى بهذا الشكل الاستعراضي، لا يمكن جعله انحرافاً جنسياً بالمعنى الصحيح، ذلك أن الأنثى لا تجد فيه لذة جنسية، بل أنها تسعى عن طريقه إلى جلب انتباه واهتمام الناظر إليه وإلى تأكيد شخصيتها وأنوثتها".[٤]

وعندما يفشل الحب لا يتحقق ما يصبو إليه المرء. ونلحظ كيف تنتقل الشاعرة من قافية إلى قافية، كما تنتقل فراشة الربيع من زهرة إلى أخرى، فتقول:

ستمضـــــي فمـــــن لـــــي بـــــأن أمنعـــــك
ستمضـــــي فهـــــل لـــــي بـــــأن أتبعـــــك

---

(١) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص٣١٥.

(٢) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٧٦. نقلاً عن مجلة (كل العرب)، باريس، العدد ٢٥٥، الأربعاء ١٥ تموز ١٩٨٧.

(٣) عراقية، ص٩٤.

(٤) الجنس والنفس في الحياة الانسانية، ص٢١٤.

فشـــــعري وحبـــــي وعمـــــري سُـــــدى
اذا لـــــم أمتـــــع بعيشـــــي مَعَـــــك

وتستمر...

ســـــأهواك حتـــــى تجـــــف الـــــدموع
بعينـــــي وتنهـــــار هـــــذي الضـــــلوع
مـــــلأت حيـــــاتي فحيـــــث التفـــــتُ
أريـــــجٌ بـــــذكرك منهـــــا يضـــــوع. (١)

وفي قصيدتها (جحود) تؤكد لحبيبها عشقها له بكل ما يحمل العشق من مساوئ ونيران ملتهبة. فتقول:

كن ما شئت
أهـــواكَ بكـــلِّ مســـاويكَ المنســـيّه
وبكـــلِّ كلومِـــك فـــي قلبـــي،
يُقصـــينا الضـــوءُ، وتجمعنُـــا الأمســـيّه
فأمـــدّ شـــفاهي فـــي عجـــلِ
للثغـــرِ المتـــرعِ بالقُبـــلِ.(٢)

وفي مقطوعتها (أحلام الغيوم) تُعلن لميعة في دعوة صريحة لحاجتها للرجل، وتربط ذلك الأمر بجو تسوده رومانسية مفعمة بالأمل والنشوى، وهي تعلن عن رغبتها عندما ترى الغيوم في السماء ويوشك سقوط المطر، لتشاركها الطبيعة حلمها الرومانسي، إذ تقول:

أُريـــدكَ حـــين تغـــيمُ الســـماءْ
ويُوشِـــكُ هَـــلٌ المطـــرْ

(١) الزاوية الخالية، ص١٢، ص١٣.
(٢) اغاني عشتار، ص٣٦، ص٣٧.

فيخفُـــــــــــــتُ صـــــــــــــوتي،
وأضـــــــــــــــــــــــــــعفُ،
حتـى كـأَنَّ الغيـومَ يُخـدّرني سكبها المنتظَـرْ. (١)

ومن الشاعرات اللواتي نشأنَ في أحضان الريف الجنوبي وفي جوار دجلة الحافة بجمال الطبيعة الساحر، (صبرية الحسو) التي ولدت في مدينة العمارة سنة ١٩٢٩، وقد أثارت النفوس بشعرها الرقيق الفياض وحازت على شهرة واسعة في عالم الأدب، ومكانة متميزة بين أخواتها الشاعرات في العالم العربي، وللشاعرة خيال خصب، إذ نلمح في شعرها الرومانسي صورة مباشرة لشعر نازك الملائكة.(٢) ولنتأمل قصيدتها (يأس)...

يئست فضج بأعماقيه
حنين وأضرم أشواقيه
وصوت يردد في غمرة
ويحرق أشواقي الباقية
يئست فلا تحملي ثانية. (٣)

وبما أن المرأة تكره القيود التي تحدّ من حريتها، نجد الشاعرة على العكس تتمسك بغرفتها وبحدود جدرانها ووفائها والذكريات فتقول في قصيدتها (الغرفة البيضاء)...

وذهبـــت أســـأل غرفتـــي البيضـــاء عنـــك وعـــن هوايـــا
وذهبـــت يـــا ويـــح المنـــى خابـــت ورددهـــا صـــدايا
وســـألت عنـــك الـــنجم حتـــى النـــار حتـــى الأمســـياتِ

(١) أغاني عشتار، ص٧٩.
(٢) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٣٧، ص١٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٧. نقلاً عن جريدة المبدأ البغدادية، سنة ١٩٥٣.

فوجـــــدتها للعهـــــد حافظـــــة وترعـــــى ذكريـــــاتي
فالغرفـــة البيضـــاء تعـــرف كـــل أحزانـــي وبؤســـي
وبهـــا تصـــافحت اليـــدان فـــأين يـــا أيـــام أُنســـى.[١]

ولها قصيدة أخرى، تحت عنوان (غروب قلب) فتنشد فيها:

أزيلـــــــــي الشـــــــــحوب
لأن لقـــــــــاء الحبيـــــــــب
غـــداً... حـــين تشـــرق شـــمس
الصـــــــــــــــــــباح
غـــداً... كـــل شـــيء يهـــون
وقضـــيتها ليلـــة بارتيـــاح.[٢]

نلمس في هذا المقطع الشعري دعوة صريحة من الشاعرة للقاء الحبيب وتفريغ نفسي عن مكبوت يعتورها، لذلك بعد أن أفرغت المكبوت ختمت القصيدة بقولها (وقضيتها ليلة بارتياح).

"وهناك قصيدة أخرى من القصائد الغزلية التي تسير في أبياتها على استواء، لا تندفع وراء العاطفة كما يفعل الرومانتيكيون الهائمون، ولكنها تكبح جماح العاطفة بالفكر".[٣] فتنشدنا قصيدتها (أمنيات):

أترجـــع بعـــد طـــول الغيـــاب لتشـــكو الضـــنى للفـــؤاد الحـــزين
وننسـى الأسـى فـي خضـم العـذاب وتمحـــي الشـــقاء وتخفـــي الأنـــين
أتعلـــم يـــا شـــاعري لـــو تعـــود بأيامنـــــا الحلـــــوة الماضـــــية
وأحلامنـــا بـــين همـــس الوعـــود لتســـــعد أحلامنـــــا الباقيـــــة
ولـــو عـــدت لـــي الآن مـــاذا أقـــول ســـيقتلني الشـــوق فـــي فرحتـــي

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٣٩. نقلاً عن مجلة (صوت المرأة) البيروتية عام ١٩٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٩. نقلاً عن مجلة (صوت المرأة) البيروتية عام ١٩٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٤٠.

وأنظـــر وجهـــك بعـــد الأفـــول يطـــل لـــيملأ لـــي وحـــدتي. [1]

ونلحظ كيف أن الروح الرومانسية جلية في هذه القصيدة بدلالة استعمال بعض الالفاظ التي تشف عن هذا الحزن الرومانسي، ومنها (الفؤاد الحزين)، (ننسى الأسى)، (خضم العذاب)، (تمحي الشقاء)، (سيقتلني الشوق).

ولنتواصل مع الشاعرة (شوقية العتابي) التي ولدت في محافظة ذي قار ١٩٤٠، ونشأت في عائلة محافظة، أكملت دراستها الابتدائية والمتوسطة في الناصرية والكوت، وتخرجت من دار المعلمات سنة ١٩٦٠. وتخرجت من الجامعة المستنصرية ببغداد ـ قسم اللغة العربية ـ سنة ١٩٦٧، وانضمت عضوة إلى جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين ببغداد سنة ١٩٦٠.[2]

ونلمس من خلال قصائدها روح الحب المتوثبة التي تعبر فيها عن فرحتها الغامرة بلمسات الجمال، ففي قصيدة (هدايا) تصف الشاعرة شغفها المتأجج بلقاء الحبيب وهي تقدم إليه الهدايا فما أجمل قولها:

وكفّـــــــي بكفّـــــــك تســـــــبيحة
كرعشـــــة طيـــــرٍ لقطـــــرة طـــــلّ
وقُبلـــــة نحـــــلٍ لزهـــــرة فُـــــل
وهمـــــتٌ بخـــــالٍ علـــــى وجنتيـــــك
تحـــــــــــــدي الخجـــــــــــــل
أُقبّـــــلُ خـــــالاً بقلـــــبٍ هفـــــا
وخـــــدّي وهـــــدبي عليـــــه غفـــــا.[3]

ونلحظ كيف أنَّ الشاعرة تُعلن عن رغبتها في تمزيق قيود المجتمع التي تُقيد من حريتها، فتنشدنا قصيدتها (قصائد):

---

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٣) شاعرات من الخليج العربي، ص١٣٢.

عرفـــــت معنـــــى الحـــــب والشـــــجن
فهـــل عرفـــت امـــرأةً تـــذبل فـــي الوجـــود
وهـــل عرفـــت امـــرأةً، تمـــردّت مزّقـــت القيـــود
لا لـــن تراني مـــرة أخـــرى كمـــا كنـــت، كقطعـــة
مـــن الجليـــد ســـأبدع الثـــورة مـــن جديـــد
فـــي كـــل يـــوم أبـــدع الثـــورة مـــن جديـــد
ستغضبك
قصـــــــــائدي الجديـــــــــدة القديمـــــــــة
ستغضبك... .[1]

ومن شواعر البصرة اللواتي ساهمن في العمل الصحفي ونشرنَ قصائدهن في الصحف العراقية... (بلقيس عبد الغني)، التي ولدت في البصرة سنة ١٩٥٩، والتي تعمل حالياً في رئاسة جامعة البصرة، واشتركت في المسابقات الشعرية لمديرية التربية أكثر من مرة وفازت بعض قصائدها بالمرتبة الاولى.[2] فتقول في قصيدتها (حضور الزمن الغائب)...

فالقادمون استباحوا من البحر موجته
هـــــــــــو البحـــــــــــر
يعـــرف انهـــم صـــيّروا شـــرفة الحُـــب
عينـــاً لأرملـــة صـــيرت عشـــقها نهـــراً
وهـــــم صـــــيروا هـــــدأة القلـــــب
فـــــــي صـــــــدرها المســـــــا
مباركـــــــة بـــــــافتراق الـــــــدروب
وعقـــــم الوجـــــوه التـــــي ابحـــــرت

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص١٣٢.
(٢) شاعرات من الخليج العربي، ص١٥.

ظلمـــــــــــــــــــــــــــــــة.[١]

وفي قصيدة اخرى أرى الشاعرة تعرض قلبها للغريب، فقلبها مفتوح لمن يطرق بابه فمساحته كبيرة تستوعب طارقيه، فيا تُرى كم مرة هذه الشاعرة هُجرت من عُشاقها وتبقى في أملٍ دائماً بانتظار عاشقٍ جديدٍ كل ما يهمها أن ينبض قلبها بالحُب، وتشعر بكيانها وأنوثتها. فلنسمعها تقول في (الغريب):

للغريـــــب الـــــذي ســـــيجيء
غرفـــــــــــة دافئـــــــــــة
فـــــــــــي الفـــــــــــؤاد
وأرجوحـــــة .... وأغـــــان تضـــــيء

متعباً سيكون الغريب الذي سيجيء
وفـــــؤادي كبيـــــر المســـــاحة
ولهـــــــــــــــــــــــــذا
بنيـــــــت فـــــــي فـــــــؤادي
فنـــــــــــدقاً مرمريـــــــــــاً
ودار اســـــــــــــــــتراحة.[٢]

وتطالعنا عاتكة الخزرجي التي جمعت (بين رقة البحتري وغزل العباس بن الأحنف، وتعفف الشريف الرضي واستعطافه، وصوفية ابن الفارض وهيامه فهي ابنة الرصافة وربيبة دار المعلمات).[٣] إذ ولدت في بغداد سنة ١٩٢٤، وقد مارست التدريس في ثانوية الأعظمية للبنات، ورحلت الى باريس ودخلت كلية الآداب في السوربون سنة ١٩٥٠، فحصلت على دكتوراه دولة سنة ١٩٥٥ بعد أن حققت ديوان العباس بن الأحنف وقد طبَعَتْهُ بالقاهرة، وبعدها عُينت بمنصب مُدرسةٍ في قسم اللغة

(١) شاعرات عراقيات معاصرات، ص٥٩. نقلاً عن المرفأ الشعري. قصائد من البصرة، ١٩٧٨، ص٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٦١. نقلاً عن المرفأ الشعري. قصائد من البصرة، ١٩٧٨، ص٢١٣، ٢١٤.
(٣) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص٤٢٣.

العربيـة فـي دار المعلمـين العاليـة.[١] وأود أن أُشـير الـى قـول أ.د. داود سـلوم فـي الشاعرة الذي أطلق عليها القديسة وناداها به... (إن القديسة في صلواتها الشعرية لا تتكلف في اختيارها فهي تشعر بالقرب ممن تخاطب، وتشعر أنه قريب منها، ففي شعرها تنتفي قاعدة ـلكل مقام مقالـ وتستحيل ألفاظها إلى الفاظ هامسة بسيطة. ألفاظها تشبه حواراً بين اثنين في روضةٍ بعيدين عن الناس والزحام، وقد غابا عن الوجود حول منضدتهما أحدهما ينظر في أعماق عيني الآخر فيقول ما يشعر بما يقولـه، إنـه شـعر يشـبه النثـر، ونثـر يشـبه الشـعر، إنـه صـلاة قديسـة... ودعـوة محتاج!).[٢]

إن مـن يطلـع علـى شـعر عاتكـة يلمـس تركيزهـا علـى موضـوعات (الحـب والتصوف) وهذا ما لاحظه الأديب المصري أحمد حسن الزيات (فهي ربيبة الرصافة ونزيلة الكرخ حيث يتعطر الجو بأنفاس الملائكة وتحوم أرواح المصتوفين، كالجُنيد البغدادي والحَلاّج ومعروف الكرخي).[٣]

وعلى غِرار المتصوفين منهم تتخذ الغزل بحبيب خيالي مظهراً للوجد بالذات الإلهية الجمالات الروحية.. فنسمعها تقول...

بالـذي رقـرق الصـبابة فـي القلـب ووشـى بالحـب أثنـاء نفسـي
والـذي بـرأ الحنايـا وأصـفاها صـفاء الأنـداء فـي ضـوء شـمس
أنـت عنـدي معنـىً بـه أجـدُ الله حيـالي فـي الصـبح أو حـين أمسـي
(شـهد الله لـم يغـبْ عـن جفـوني شخصـه لحظـة ولـم يخْـلُ حِسِّـي).[٤]

---

(١) موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، ص١١٦.

(٢) المرأة في أفق الأدب العربي، ص١٢٢.

(٣) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص٤٢٣، وينظر شاعرات عراقيات معاصرات ص١٤٧.

(٤) المجموعة الشعرية الكاملة، ص٣٣٢، تنظر قصيدة (روحانية) من باب النفس.

فهذا الحُب الصوفيّ الإلهي خلاصة تأمل في الذات الإلهية ونوع من الذوبان في ذات الله، ومن خلال شعرها نراها تُسجّلُ اعترافاتِها في أكثر من قصيدةٍ بمدى عشقها (للإله) وتؤكده واذا كان هناك من يسألها ماذا تعشقين...؟ أجابت...

أهـــوى الـــذي خلـــقَ الوجـــودَ مـــن العَـــدَمْ
أهـــوى الـــذي سَـــوَّاك مـــن لحـــمٍ ودَمْ
أهـــوى الـــذي شَـــقَّ الضـــياءَ عـــن الظُلَـــمْ
أهـــوى الـــذي علّـــى وعلّـــمَ بـــالقلمْ
قـالوا تعـالى مـن لـه الملكـوت مَـنْ بَـرَأ النَّسـمْ.[1]

كيف تعشق عاتكة (الإله) وتبين عشقها خالص لربها ولكنها في الوقت نفسه، تُعطي دليلاً على أنَّ عشقها موجه إلى (حبيب خيالي) إذ تشخص بقولها:

أهـــوى الـــذي سَـــوَّاك مـــن لحـــمٍ ودَمْ

وعلى طريقة ابن الفارض وسواه من القدماء تتوكأ الشاعرة على القسم في خطاب الحبيب وتوحد بين حبه وحب الله، وعلى مثال شعراء الصوفية، تؤكد كما أكدت قبلها رابعة العدوية. أن حبها للحُب، ليس خوفاً من عذاب أو طمعاً في ثواب... .[2] فتقول:

أحبُّكَ للحُبِّ .... لا رغبةً
ولا رهبةً بئس مايأفكونْ
أهواك هوىً لم تصِفْه اللُّغى
وأعيا النُّهى وتحدي الظنون

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، ص٣٠، تنظر قصيدة (العشق) من باب الله.
(٢) نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، ص٤٢٥.

فأنت بروحي رفيفُ السَّنا

وهَمْسُ المُنى وابتسام الفتون.[1]

مـن خـلال قراءتـي للمجموعـة الشـعرية الكاملـة للـدكتورة عاتكـة الخزرجـي، وخصوصاً فيما جاء في باب الله والنفس، وجدتُ الشاعرة تضع في مخيلتها أنَّ هناك رجلاً من أجله تُعاني وتسهر وتشكو وتتعذب من لوعة الحرمان والفراق، وتحاول أن ترسم في قصائدها مدى اشتياقها وانتظارها للقاءِ بذلك الرجل الذي تكتفي بصورة وهمية له في قلبها، فهي تُوهم القاريء أن محبتها تشغل عقلها وقلبها، وإذا بها تُحرر ما حُبس في داخلها وتطلق العنان لقلمها وهي تكتب، ولعل ما عانته عاتكة من غربةٍ ووحدةٍ وعدم استقرارٍ دفعها لاستخدام هذا الغطاء النفسي في قصائدها، ولعلها أرادت أن تتشبه بالصوفيات وتقلدهن أمثال (رابعة العدوية)، ولكونها تعيش في مجتمع تحكمه القيود والعادات الاجتماعية وبعد سفرها أصبح عقلها حراً وأفكارها حُرة، الأمر الذي أدى إلى حدوث صراع بين جسدها وعقلها، فلم تجد غير هذه الوسيلة التي تختفي وراءها أمنيات امرأةٍ حُرمَ جسدها من تحقيق رغباته وحُرم قلبها من نيرانِ ودفء الحب الصادق.

وأود أن أذكر في خاتمة بحثي أنَّ الشاعرة العراقية إنسانة لها شعور كغيرها من الشاعرات المتحررات في لبنان أو مصر ولكنها فضلت التظاهر بخضوعها لتقاليد المجتمع ولم تجد بأساً من نظم الشعر العفيف الذي يشبه الشعر العذري مهما كان سلوكها اليومي محافظاً أو متحرراً في الواقع الحياتي!.

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، ص١٤، ينظر قصيدة (الله) باب الله.

المصادر:

١. أدباء العراق المعاصرون، خليل إبراهيم عبد اللطيف، بغداد- ١٩٧٢.

٢. أغاني عشتار، لميعة عباس عمارة، طبع المؤسسة التجارية، بيروت، ١٩٦٩.

٣. ديوان نازك الملائكة، المجلد الأول، دار العودة- بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

٤. الزاوية الخالية، لميعة عباس عمارة، مطبعة الرابطة، بغداد-١٩٥٨.

٥. شاعرات عراقيات معاصرات، سلمان هادي آل طعمة، الطبعة (٢)، دمشق- ١٩٩٥.

٦. شاعرات من الخليج العربي، فالح حمد أحمد، البصرة ١٩٨٥.

٧. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د.علي الوردي، مكتبة مؤسسة طهران/ سيدة المعصومة، ط(١)، دون سنة.

٨. عراقية، لميعة عباس عمارة، ط(٢)، دار العودة، بيروت-١٩٧٢.

٩. المجموعة الشعرية الكاملة، شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي، (ستة دواوين ومسرحية)، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٠. المرأة في أفق الأدب العربي، أ.د. داود سلوم، بغداد، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١١. المرفأ الشعري، قصائد من البصرة، (البصرة ١٩٨٧م).

١٢. موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية، الطبعة (١)، بغداد، ١٩٩٥.

١٣. نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر، روز غريّب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى بيروت، ط(١)، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.